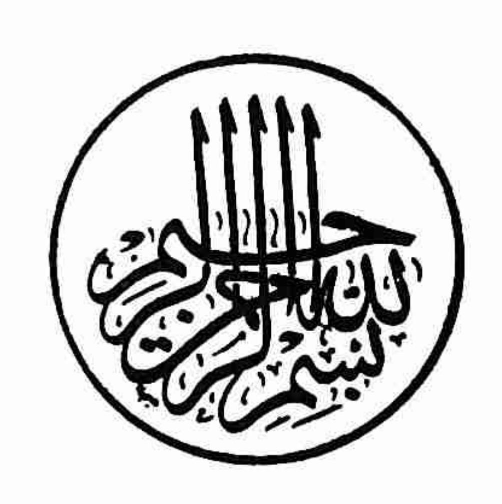
من أخبار الصحابيات

الزوجة المؤمنة

أم سُليم بنت مِلحان

حنان لحام



ام سلیم بنت ملحان

الطبعة الأولى

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

دمشق ص.ب ٥٠١٦

من أخبار الصحابيات
٢

« رأيت الرُّمَيْصَاء في الجَنّة »

أُم سُلَيْم بنت مِلْحان

الزوجة المؤمنة

تأليف
حسان شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ
وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ
النمل « ٥٩ »

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
البقرة « ١٢٧ »

الإهداء

إلى اختي هدى وهي على عتبة حياة جديدة .

إلى إخوتي واخواتي في العالم الاسلامي ..

اقدم بعض أخبار المراة المسلمة التي قامت بدورها الجليل في بناء المجتمع الاسلامي مضحية بكل شيء في سبيل الله .

فيا إخوتي واخواتي في العالم الاسلامي ..

انتم المستقبل الباسم الذي نتطلع إليه ..

فتاملوا في حياة الصحابة والصحابيات ..

اولئك الذين صنعوا لنا في الماضي حضارة وتاريخاً ..

لنتعلّم كيف نصنع تاريخ المسلمين من جديد ..

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونصلي ونسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد .. فان من الامور السلبيــة التي ساهمت وما زالت تساهم في تخلف العالم الاسلامي : تلك النظرة الخاطئـة إلى المراة ودورها في الحياة .

وإن تعاليم الاسلام بريئة مما وصل اليه المسلمون من تخلف في عصور الجهل والانحطاط ، ولا سيما تخلف المراة وتدني مكانتها الاجتماعيــة .

لقد كان الجهل سبباً رئيسياً في الابتعاد عن روح الشريعـة الاسلامية السمحــة ، والانجراف بتيار التقليــد الاعمى ؛ تيــار الجاهلية أو التعاليم الدخيلة على الاسلام .

وتلك التقاليد والتعاليم ليست من روح الشريعة في شيء ، بل كانت حاجزاً صفيقاً فصل المسلمين عن حقيقة الاســلام ، وكانت المراة إحدى ضحايا هذا الجهل والفصل .

فالمراة في العالم الاسلامي ـ في وقتنا الحاضر ـ عضو مشلول لا يؤدي وظيفته التي خلق من اجلها . ومع ان مشكلة العطالة في العالم الاسلامي تعمّ الرجال والنساء ، لكنها بالنسبة للمراة اكثر

تعقيداً .. حيث يُنظر إليها وتنظر هي إلى نفسها نظرة خاصة إذ تظن ان وظيفتها الطبيعية هي العطالة والتعويق . فهي إما دمية أو جارية ، أو كلتاهما معاً .

وكنت أتألم لبناتنا اللواتي حرمن من أخبار الصحابيات .. جداتهن اللواتي اشتركن في تشييد الحضارة الاسلامية وساهمن في بناء المجتمع الرباني الاول .

إن بناتنا وأبناءنا أيضاً في أشد الحاجة إلى من يخرج لهم المرأة المسلمة الاولى من عالم النسيان الى حيز الوجود كي يدركوا الدور الذي قامت به ، ويعرفوا الفارق بينه وبين صورة المرأة الآن .

إن دراسة هذه الاخبار وتأملها تفتحان آفاقاً جديدة أمام المرأة المسلمة الجديدة وتغيران من نظرها الخاطىء الى دورها في الحياة بل ومن نظرة المجتمع الخاطئة اليها ، إذ أن المجتمع لا يحترم المرأة طالما أنها تحافظ على دور الدُمية ، أو الجارية ، ولا ينظر إليها بعين الكرامة طالما أنها لم ترتفع الى مستوى الكرامة والمسؤولية ، فالتغيير الخارجي لأحوالها ، لا يتم ما لم يسبقه تغيير داخلي في نفسها :

((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم))(١)

هذه هي الخطوة الاولى في التغيير ..

والخطوة الثانية هي أن يدرك المسلم أهمية دور المسلمة : كأم تربي أبناءها تربية اسلامية ، وكزوجة تشارك زوجها متاعب الحياة وتحثه على المضي في طريق الدعوة إلى الله مهما لاقى من عقبات .

إن المرأة التي لا يهتم الرجل برفع مستواها وإشعارها بكرامتها

---

(١) سورة الرعد ، الآية (١٣) .

ودورها ، ستقف عائقاً في وجهه إن حاول ان يؤدي دوره الـذي كلفه الله به بدلاً من أن تدفعه وتدعمه وتساهم معه .

أيها المسلم : الا تتمنى أن تقول لك أمك كما قالت نسيبة لابنهـا بعد أن ضمدت جرحه في أحـد : قم يا بُنيّ وقاتـل دون رسـول الله ..

أيها المسلم : ألا تتمنى أن تقول لك زوجك عند المحنة كماكانت تقول خديجة رضي الله عنها لرسـول الله صلى الله عليه وسـلم : (يا ابن عم أبشر واثبت فوالله إنك على الحق ، والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم) .

أيها المسلم : إن هذا من حقك ، لكنك لن تصل إلى هذا الحق ما لم تؤد واجبك نحو المرأة المسلمة أولاً : أن تشعرها بكرامتهـا عند الله ودورها الذي يجب أن تقوم به .

وبعد ، فانني أقدم هذه القصة في هذه المناسبة راجية من الله أن تحقق تقدماً في هذا المجال .

وقـد اتبعت في إخراج هـذه الاخبار شيئاً من التصرف في الحوادث والاقوال لشعوري بأن ذلك سيكون أكثر فائدة ، وتسهيلاً على عامة القراء ، ولا اظن أن هناك حرجاً في ذلك ، فالصحابة بشر مثلنا نستطيع ان نشعر بما شعروا ونتحدث عن مشاعرهم .. ثم إنني وضعت النص الأصلي الوارد في كتب السيرة او الحديث داخل قوسين صغيرين كي يتنبه القارىء إلى موضع التصرف .

اللهم إن هذه محاولة اقوم بها اداءً لبعض ما عليّ من واجب ، واقدمها مع شعوري بقصورها راجية منك العون والتوفيق .

« ربنا تقبل منا إنك انت السميع العليم .

ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا امة مسلمة لك »

- ١ -

لوحة من الجاهلية

يثرب ... المدينة الجميلة التي تحيط بها أشجار النخيل ، وتتخللها كروم العنب وحدائق الفاكهة المختلفة .

يثرب ... واحة العرب الظليلة .. كانت منذ مـدة مسرحاً للنزاع والحروب بين الأوس والخزرج .. تلك الحروب الطاحنـة التي كانت اليهود تضرم نارها بين أبناء العم لأتفه الأسباب كي يظلوا في ذل وضعف دائم أمام جشع اليهود وتسلطهم .

كانت الأوس والخزرج قبيلتين من قبائل العرب رحلتا مـن اليمن ثم استقرتا في يثرب . وكانت اليهود جيرانهم فيها . واليهود في كل زمان ومكان لا يفكرون إلا بالمـال والسيطرة ، ويرتكبون في سبيل الوصول إليهما أبشع الجرائم ، ويحتالون ويدبرون المكائد لمن حولهم ليوقعوهم في الصراع فيصبحوا في شغل دائم بمشاكلهم ونزاعهم ويغفلوا عن خطر اليهود وتسلطهم وتوسعهم .

ولم يكن لدى العرب في جاهليتهم الـدين الذي ينظم لهـم معاملتهم فيما بينهم ويضع لهم قواعد الأخلاق التي إن تمسكوا بها استطاعوا أن يصلوا إلى حياة هانئة مستقرة .. بل كانت عقولهم

تخضع للتقليد والخرافة والأساطير والأوهام .. حتى عبدوا الأصنام والأحجار . اما حياتهم فينطلقون فيها وراء اهوائهم وشهواتهم ، فالقوي المتسلط يعيش على حساب الضعفاء ويترفه ويتنعم ، بينما يحرم العبد والضعيف من كل شيء . كما انهم ما كانوا يؤمنون بيوم الحساب بل ينظرون إلى الدنيا على انها هي كل شيء .. فالسعيد من يحصّل أكبر اللذات في حياته ولو بالقتل والنهب والسرقة . ولهذا كانت حياة كثير من القبائل في الجزيرة العربية تعتمد على الإغارة والسلب لغيرها من القبائل .

هذه الحياة الخالية من الإيمان بالله واليوم الآخر . الخالية من الدين الإلهي الذي ينظم للناس حياتهم ويرسم لهم حدوداً ينبغي ان لا يتجاوزوها .

هذه الحياة الخاوية إلا من طلب اللذة والتسلط .. جعلت مكايد اليهود تنجح في الإيقاع بين الأوس والخزرج .. فلا تكاد تنتهي الحرب بينهما حتى تُبعث من جديد .

ومع أن اليهود كانوا اصحاب دين سماوي ولديهم كتاب من الله يأمرهم فيه بالعدل والاستقامة وينهاهم عن الظلم والعدوان والخداع .. إلا انهم تركوا امر الله وآثروا عليه حب المال وشهوات الدنيا .. لذلك غضب الله عليهم ولعنهم إلى يوم القيمة لأنهم ظلموا وكفروا بعد أن جاءهم العلم وبعد ان بين الله لهم طريق الصواب .

هكذا كانت الجزيرة العربية تعيش في جاهلية .. وهكذا كان

اهل يثرب لا تكاد الحياة الهانئة المستقرة تصل إليهم بسبب دسائس اليهود وكيدهم .

- ٢ -

هل المرأة دمية ..؟!

.. لكن يثرب اليوم تبدو هادئة . ويغدو اهلها والسعادة تنير وجوههم .. لقد استطاعوا أن ينسوا الحرب والنزاع وعاد إليهم الأمن والسلام وكأنهم قد وجدوا لمشكلتهم حلاً .. فما هو السر يا ترى ؟ !

لقد وصلت أشعة من نور الإسلام إلى يثرب فبددت ظلام النفوس ومحت الأحقاد منها وفتحت القلوب فقادتها إلى نور الله .

وها هو مصعب بن عمير مبعوث النبي صلى الله عليه وسلم الى يثرب يجلس في نواديها ويجوس خلال بيوتها وبساتينها يدعو الناس إلى الله ويتلو عليهم آياته ويعلمهم أحكام الإسلام وآدابه ويغرس فيهم مبدأ المساواة أمام الله فلا تبقى أفضلية إلا للتقوى .. ويعلمهم الأخوة في دين الله التي تفوق أخوة النسب في قوتها وتماسكها .

* * *

وفي صباح ذلك اليوم خرج مالك بن النضر من بيته ووجهه

يتأجج غضباً . ووقف برهة أمام الباب،ثم التفت نحو البيت صائحاً :

– إذن فقد آمنتِ بهذا الصابىء وتركت دين آبائك وتمسكت بضلالك .. ولكنك ستندمين على عنادك هذا .. وسترين ..

وصفق الباب خلفه بشدة وانطلق لتوّه مجهزاً بعيراً له ومرتحلاً عليه إلى الشام .

وفي داخل البيت جلست أم سُلَيم مطرقة تفكر ، وإلى جانبها جلس إبنها أنس الذي لم يبلغ العاشرة بعد ينظر إليها بوجوم .. إنه يعرف السبب الذي أغضب أباه .. لقد ثار الأب منذ ان علم بدخول زوجته أم سليم في الإسلام . وزادت ثورته عندما تمسكت بدينها ورفضت أن ترتد عنه . بل كانت تدعوه أن يترك أصنام آبائه ليعبد الله رب العالمين . ولم يترك مالك بن النضر وسيلة لرد زوجته عن الإسلام إلا وجربها .. ولكن دون جدوى ، فقد كان الإيمان بالله قد تمكّن من قلبها وكانت تدعو زوجها طامعة في إسلامه ، ولطالما سمع ذلك الطفل أمه تقول لأبيه :

– يا مالك كيف تعبد الحجارة والأشجار وهي لا تملك لنا ضراً ولا نفعاً ..؟ وتترك عبادة رب العالمين الواحد الأحد الذي خلقها وخلق كل شيء ؟.

يا مالك إن الله قد أرسل لنا رسولاً يتلو علينا آيات بينات تهدي إلى الحق والبر وترسم للإنسان طريق السعادة ..

يا مالك إنني أخشى عليك يوماً تقف فيه أمام الله فتعجز هذه

الأصنام عن نصرتك. .إنني اخشى عليك شر ذلك اليوم ، فاتَّقِ الله وآمن به وبرسوله .

ولكن مالـك كان يقابل هـذا النصح بالثورة والأنفـة وكان يصيح بهـا :

ـ اتسفَّهين عقلي وعقل آبائي . .؟!

اتريدين مني ان اقف إلى جانب العبد الحقير من قومي لأكون معه على قدم المساواة !! واي ذل اعظم من ان يضع الرجل الشريف راسه على الأرض ليصلي لرب محمد ؟!

فتقول ام سليم متعجبة :

ـ كيف تأنف من السجود لرب العالمين وترضى ان تكون عبداً للشيطان . إن الذي يسجد لله يتحرر من كل صَغَار. . والذي يأبى السجود لربه هو العبد الذليل للهوى ، أو للمال . . وهو الشقي المحروم .

فيقاطعها ثائراً :

ـ يا للعزّى . . ! متى كانت النساء تهتم بمثل هذه الأمور ؟!

ومنذ متى كانت المراة تسفه راي زوجها ؟!

اتظنين اني فقدت عقلي حتى أطيع راي امراة ؟!

واللات والعزى لئن لم تنته عن سفاهتك هذه ليكونن لي معك شـأن آخر .

نعم إن الطفل انس بن مالك يعي كل ذلك ، ويعرف ان اباه كان على باطل .

اما ام سليم فقد كانت سارحة في عالم آخر .. عالم الذكرى البعيدة الذي أثارته غضبة زوجها واستكباره في هذا اليوم .

لقد تذكرت حادثة اليمة كانت قد راتها في صباهـا الباكر ، وحديثاً ملؤه الشجن طالما فكرت فيه واقلقتها ذكراه ..

لقد كانت في ذلك اليوم صبيّة في اول تفتحها ، وكانت عائدة مع بعض أترابها من طرف المدينة حيث كنّ يساهمن ببعض أعمال في بساتين أهلهن . عنـدما سمعت أنيناً ينبعث من احـد جانبي الطريق .. فأسرعت أترابها خائفات إلى بيوتهن .. لكنها وجـدت نفسها مدفوعة نحو الصوت يخالجها الإشفاق والحذر والفضول .

وخلف صخرة كبيرة تقف وسط السهل الممتـد على جانب الطريق كشفت سـر الأنين إذ ما كادت تقترب مـن الصخرة حتى سمعت بكاء وليد جديد .. ثم رأت امرأة جالسة إلى جانب حفرة وبين يديها طفلة عارية قد ولدت لتوّها . فقالت في نفسها : إذن كانت المرأة تئن في مخاضها وهي الآن قد وضعت ، فلأمكث قليلاً فقد تحتاج إلى مساعـدة . ولكن .. ما بال المرأة تضع ابنتهـا في الحفرة ؟! يا إلهي ها هي تهيـل التراب بكلتا يديها فوق الطفلـة ، وها هو صوت بكاء الطفلة يتلاشى ..

إن ام سليم تذكر كيف سرت في جسمها رعشة رعب قويـة

شلّتها عن الحركة برهة ثم اندفعت بأقصى سرعة نحو الحفرة تنبش التراب وتستخرج الطفلة من حفرتها ، ولكن بعد فوات الأوان .. لقد ماتت الطفلة .. لقد قتلتها امها ..

ورفعت أم سليم ـ الصبية ـ عينيها إلى الأم برعب .. ولكن الأم كانت ذاهلة جامدة ..

وصاحت الصبية :

ـ لِم قتلتها ؟ أليست ابنتك وقطعة منك ، كيف فعلت ذلك؟!

تنهدت الأم وقالت :

ـ تلك أوامر سيد الدار .. وهل تستطيع امرأة ضعيفة مثلي ان تخالف أمر السيد القوي ..

ـ ولِمَ يأمر الأب بقتل ابنته ؟!

ـ لأنه لا يريد بناتاً ضعافاً يحمل عبء معيشتهن .. بل يريد أولادا ذكوراً يتكاثر بهم في قومه ويمنحونه العزة والمنعة بين الناس .

وسكتت الأم قليلاً ونظرت إلى وجه الصبية الذي اكتسى بالرعب والألم .. وانطلقت من صدر الأم زفرات حارة وقالت :

ـ إنه لمؤلم ومرعب حقاً أن يرعى الحيوان صغاره بحنان بينما يدفن الإنسان أولاده أحياء ..؟! إن الوحش يفترس ليسد جوعه ، أما الإنسان فيفترس الضعفاء ليزداد جاهاً ومالاً ويمضي في جشع لا ينتهي ..

فاخذت الصبية عندها تبكي بحرقة ، فربتت الأم على كتفها وقــالت :

ـ لا تبك .. فلقد القيت ابنتي إلى الأرض لتبتلعها وانا اشعر بأن الموت ارحم لها من حياة تسام فيها انواع الخسف والهوان . إن الفتاة تعيش في بيت ابيها مهملة لا دور لها ولا كيان حتى اذا بدا لأبيها ان يزوجها باعها لمن يدفــع له مالاً اكثر دون أن يكون لهــا راي .. وتدخــل بيت الزوج لتكون دميــة تتزين بأنواع الحــلي والملابس .. لا كرامة لها ولا احترام .. إن هي إلا دمية جميلــة اشتراها الرجل للمتعة والتسلية ..

وإنها لسنة الحياة .. كلما اتَّبع الإنسان هواه وخضع لمنطق القوة ظهرت المراة الدمية في البيوت وفي الطرقات بزينتها وحللها .. تتحرك كما يريد لها سيدها الرجل ان تتحرك .. إنها دمية جميلة مزركشة ، ولكنهــا للأسف خالية من كرامــة الإنسان ، فاقــدة حريتها .. إنهــا جسم فقد روحه وضل عــن هدفه وعن غايــة وجوده .. إنها لا تعرف لنفسها هدفاً سوى أن تحرك غرائز الرجل وتشبع نهمه ..

وقفت الأمُ تلتقط انفاسها .. والصبية ساكنة واجمة تستمع إليها وقد جف دمعها .. وتابعت الأم :

ـ وبعد .. إذا مات عنها زوجها جاء ورثته فوضعوا ايديهم عليها وورثوها كما يورث المال والمتاع .. فإما ان يتزوجها الوارث ليستولي على مالها .. أو يزوجها لمن يشاء ويأخذ مهرها لنفسه ..

فتسأل الصبية :

ـ الا يحاول أحد أن يمنع هذا الظلم . .؟!

فتتنهد الأم قائلة :

ـ يحاول بعض الأخيار ذلك . فإذا سمعوا برجل يريد وأد ابنته سعوا اليه وكفلوها عنه . ولكنهم قلة ، تضيع أصواتهم بين الجموع الضالة الغافلة . . وتظل المرأة في هذا الذل والهوان . . ألم أقل يا فتاتي إن الموت ارحم لابنتي من هذه الحياة !!

تذكرت أم سليم تلك الحادثة واستعادت في ذاكرتها ذلك الحديث في ساعتها هذه وهي تجلس واجمة مفكرة في موقف زوجها، وانكاره عليها ذلك التفكير الجديد الذي طرأ عليها . . لقد أزعجه أن يراها تهتم وتفكر وتسعى للقيام بدور جديد يختلف عن الدور التقليدي الذي كانت تقوم به المرأة . . وها هو يمارس سلطانه التقليدي في تأديبها على حد زعمه . . ها هو ذا يتركها مُعلّقة لا هي زوجة ، ولا هي مطلقة فماذا تفعل . .؟!

وشعرت أم سليم بهمٍّ كبير يجثم فوق صدرها ، وكأنَّ ظلاً ثقيلاً لحياة قاسية يزحف نحوها . .

وتصحو من أفكارها على يد صغيرة تمتد فتمسك يدها . . فتلتفت إلى الوجه الصغير البريء الذي كان يحدق بها وتسمعه وهو يناجيها :

ـ أماه هل هجرنا أبي ولن يعود ؟!

وتسكت أم سليم برهة وهي تمر بيدها الحانيــة على راس أنس وتقاوم دموعاً تكاد تفلت من عينيها .. وتجيبه بصوت يبدو فيه الأسى :

ـ نعم يابني .. لقد هجرنا ابوك ولا يعلم أحد إلا الله متى يعود .

فيرفع أنس راسه الصغير بثقة وينظر إلى أمه بعينين يشــع منهما بريق أخاذ :

ـ لا تحزني يا أماه ، إن الله الذي آمنا به لن يتخلى عنا .. أوَ ما كنت تقولين لي ان الله ولي الذين آمنوا يتكفل بهم ويرعاهم ويرزقهم وينصرهم ويكون معهم في الشدة كما كانوا معه في الرخاء ؟!

فتهلل عندئذ وجه أم سليم حين سمعت قول ابنها ، واحاطته بذراعها بحب واعزاز وقالت له ودموع الفرح تملأ عينيها :

ـ بــلى يا بني .. « **الله ولي الــذين آمنــوا ..** » (١) ولــن يتخلى عنــا ..

لقد كان هذا هو أول العزاء . إن لها ولداً مؤمناً تأمل فيه كل خير وترجو أن تنشئه على حب الله ورسوله وطاعتهما .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٧ .

- ٣ -

نهاية مالك

وتمضي الأيام وام سليم صابرة راضية تعيش حياة الإيمـان مع ولدها أنس .. لقد كانت سعيدة بالإسلام وبولدها المؤمن الذي تنظر اليه بآمال كبيرة .. ومن يتذوق حلاوة الإيمان وسعادة الحياة في رضى الله ، لا يهتم لما يصيبه من أذى في سبيل الله . لأن حلاوة الإيمان أعظم من كل أذى ، ورضى الله أغلى من رضى الناس .

* * *

وذات يوم يقرع باب أم سليم وإذا بالباب رجل من يثرب قادم من سفر له بالشام يخبرها أن مالك بن النضر قد مرض في الشام .. ثم مـات .

وتدهش ام سليم لهذا الخبر وتسأل بلهفة :

_ احقاً مات مالك ..؟!

فيجيب الرجل متأثراً :

_ اصبري يا أم سليم ، فالآجال بيد الله .. ولقد لقيت من سوء معاملة مالك ما هو كفيل بأن يخفف من حزنك عليه ..

ولكن ا مسليم تتابع _ وكأنها لم تسمع قول الرجل _ بصوت متهدج باك :

ـ احقاً مات مالك مشركاً .. احقاً مات قبل أن يدخل في رحمة الله .. إنا لله وإنا اليه راجعون .. واحسرتاه ، لقد خسر مالك خسراناً مبيناً .

ـ ٤ ـ

انس خادم رسول الله

يثرب منذ ايام تهتز فرحاً .. ويخرج أهلها في كل يوم إلى ظاهر المدينة يتطلعون إلى الطريق بلهفة وشوق . لقد وصل إليهم نبأ خروج محمد صلى الله عليه وسلم مهاجراً من مكة إليهم ، فهم ينتظرون قدومه ويراقبون الطريق التي سيجيء منها كل يوم ..

وتأتي الساعة المباركة .. وينطلق صوت البشيرفي ارجاء يثرب:

ـ لقد وصل رسول الله ..

وتهتز المدينة كلها ويخرج الرجال والنساء والأطفال لاستقبال الضيف الكريم .. وتنطلق الحناجر مرحبة بالنور الجديد الذي غمر يثرب وكشف لها طريق الحق والسعادة .

ويقيم النبي صلى الله عليه وسلم في يثرب التي تصبح مدينة الرسول فيسميها المدينة .. ويشرع النبي الكريم في تنفيذ اعماله في المدينة بادئاً بالمؤاخاة بين المهاجرين والانصار .. ذلك الإخاء الذي ما شهد التاريخ له مثيلاً .

كان عدد المهاجرين اقل من عدد الانصار .. فكان الانصار يتنافسون ويتسابقون على مؤاخاة المهاجرين .. حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلجأ إلى القرعة بين الانصار على كل رجل من المهاجرين . ثم يأخذ الانصاري أخاه المهاجر إلى داره فيقاسمه داره وماله ..

لقد استطاع الاسلام ان يغير النفوس ويمحو منها الأنانية والطمع ويغرس فيها الحب والإيثار .. استطاع الاسلام أن ينشىء مجتمعاً متماسكاً متآلفاً من اناس قضوا عمرهم في الحروب والأحقاد والأنانيات . وتلك نعمة كبرى أحس بها الانصار فتمسكوا بها وحافظوا عليها .. بينما ألهبت هذه النعمة أحقاد اليهود وملأت قلوبهم غيظاً فبدأوا سلسلة من الكيد المستمر داخل الصفوف للتفريق بين الأخوة ولتفكيك هذا المجتمع الفتي المتماسك .. ولكن رعاية الله وسهر النبي القائد كانا كفيلين باحباط هذا الكيد .

* * *

وتأتي أم سليم بولدها أنس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكلها أمل أن يقبل النبي رجاءها .. فلقد اهتدت إلى طريقة تضمن فيها لأنس تربية رائعة وتزوده بعلم غزير ..

فتدخل أم سليم على النبي صلى الله عليه وسلم وتقول :

ـ (يا رسول الله ، هذا ولدي أنس يخدمك) ..

فيفهم النبي صلى الله عليه وسلم قصدها ويُسَرُّ بانس لما يرى فيه من ذكاء وصفاء نفس .

ويلازم انس النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك اليوم ويخدمه طيلة حياته حتى عرف بخادم رسول الله .

يقول انس :

ـ (خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلتُه لمَ فَعلتَه . . ولا لشيء لم افعَله لِم لَم تفعله) .

هكذا كانت طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تربية الصحابة تربية عملية استقلالية يشعرون فيها بذواتهم ويطبقون كل خلُق حسن من تلقاء أنفسهم وبمحض إرادتهم بعد اقتناعهم به .

وعلماء التربية الآن صاروا يتحدثون عن اللوم كأسلوب فاشل في التربية والتعليم . وأن اهم شيء في المربي هو ان يكون قدوة حسنة . وعليه ان يعامل الناشىء معاملة تسمح له بملاحظة عواقب اعماله ومحاكمتها . . عند ذلك يصبح الناشىء أقدر على الاعتراف بخطئه والرجوع عنه . . وعندها تكون قد نجحت في وضعه على طريق النضج والتكامل .

مهر فريد

ويدخل انس ذات يوم على امه قائلاً :

ـ اماه .. ابو طلحة زيد بن سهل يستأذن في خطبتك زوجة له .. فماذا تقولين ؟

وكان ابو طلحة رجلاً يعرف في المدينة بالشجاعة والنبل وكثرة المال . ولكنه لما جاء يخطب ام سليم كان مشركاً بعيداً عن الله ورسوله .

فالتفتت أم سليم نحو ابنها مستغربة :

ـ ابو طلحة ..إنه مشرك ..

وتسكت قليلاً ثم تقول :

ـ إئذنْ له بالدخول يا انس .

وهزت ام سليم راسها بأسف وهي تقول في نفسها :

ـاسفاً على ابي طلحة .. أما زال يعبد تلك الشجرة التي يسمّونها « العزّى » .؟!

ودخل ابو طلحة برفقة انس محييا .. ولما جلس بادرته ام سليم :

ـ (يا ابا طلحة ، الست تعلم ان إلهك الذي تعبد نبت من الارض ؟؟!)

- (بلى ..)

- فهل هذه الشجرة التي نبتت من الأرض هي التي خلقت السموات والأرض ؟ وهل هي التي خلقتك ورزقتك ؟ ام هي التي تميتك وتحييك ..؟!

يا أبا طلحة ، لو جئت بفأسك إلى إلهك هذا تطلب قطعه فهل يستطيع أن يمنع نفسه منك ؟! (أفما تستحي أن تعبد شجرة) ؟!

فأطرق ابو طلحة مفكراً ثم قال :

- فكيف عبدها آباؤنا واجدادنا ..! وكيف يسفه الإنسان آباءه واجداده ..؟!

- فإن كان الشيطان قد زين لآبائنا الباطل واغواهم حتى اوقعهم في غضب الله .. فهل من العقل ان نتردى معهم ونغمض اعيننا عن الحقيقة مؤثرين رضاهم على رضى رب العالمين ..؟!

ويطرق ابو طلحة مفكراً .. وتتابع ام سليم :

- يا أبا طلحة والله ما يخفى عليَّ نبلك وعلو مكانتك .. لكنني آمنت بالله ورسوله واتبعت الكتاب الذي انزله الله اليه ، وإنني بعد ذلك لا اهتم لمال ولا جاه ، بل إن دخولك في الإسلام لا يقدر بمال .. فالمال يفنى ويزول والإيمان بالله يغني في الدنيا وبه النجاة في الآخرة . وليس الفقير الذي لا مال له ، ولكن الفقير حقاً من لا خلاق « لا نصيب » له عند الله ..

وتسكت قليلاً ثم تقول :

ـ يا أبا طلحة إن آمنت بالله ورسولـه أجبت طلبـك ويكون مهري هو إسلامك (ولا أريد منك صداقاً غيره) .

ويرفع أبو طلحة راسه نحوها مدهوشاً والإكبار يملأ نفسه .. ثم يسألهـا :

ـ ولكن ما هو هذا الدين وما الفرق بينه وبين دين آبائنا ؟

ـ الفرق كبير واسع .. إن الذي يؤمن بالله يدرك الغاية التي خلق من أجلها .. لأنه يفهم قول الله تبارك وتعالى :

« تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الـذي خلق المـوت والحيـاة ليبـلوكم أيكم احسن عمـلاً وهـو العزيز الغفـور »(١) .

إن الذي يؤمن بهذا الدين يمتنع عن الظلم لأنه يؤمن بيوم بعد الموت يجمع الله الناس فيـه ليحاسبهم على ما فعلوا في الدنيـا ثم يعطي كل إنسان جزاء أعماله فإما حياة خالدة في النعيم إن كان من المحسنين .. وإما حياة خالدة في نار جهنم إن كان من الظالمين .

إن الذي يؤمن بهذا الدين يعيش سعيداً مطمئناً لأنه يعرف من اين جاء ولماذا يعيش وإلى أين سينتهي ..

كان أبو طلحة مأخوذاً مدهوشاً لما سمع من ام سليم ، وشعر

---

(١) سورة الملك . الاية ١ ـ ٢ .

بأن الأمر اخطر من ان يتسرع فيه فآثر أن تكون له مهلة للتفكير فنهض مستأذناً و قال :

ـ (حتى أنظر في أمري) يا أم سليم .

ـ كما تشاء يا أبا طلحة .

خرج ابو طلحة حائراً متعجباً مما سمع .. إنه لم يسمع قبل الآن بمثل هذا المهر الذي طلبته ا م سليم ، ولا شهد امرأة قبل اليوم يعرض عليها المال والجاه فتأباهما وتطلب شيئاً آخر وهو الدخول في الاسلام ..!!

فهل الإيمان بمحمد وربه اغلى من كل مال وجاه ؟!

هكذا كان يسأل نفسه وهو في طريقه الى داره .. وفكر في حياته الماضية .. لقد كان شقياً ، ولم تستطع هذه الأموال الطائلة التي يمتلكها أن تخرجه من شقائه .. كان شقياً ضائعاً لأنه لا يعرف من اين جاء ، ولماذا يعيش ، وإلى اين سينتهي ..؟

كان يرى الناس أمامه يعيشون ظالمين او مظلومين .. ثم يموت الظالم والمظلوم وينتهي الأمر دون أن يتحقق العدل ..!!

كان يحس برعب كبير كلما راى جنازة .. وكان يقول في نفسه:

ـ لماذا جئنا إن كان الموت هو النهاية الأخيرة ..؟!

تباً لهذا الإنسان ، الا تزيد حياته عن حياة الحيوان بشيء..!

وكان كثيراً ما يلجأ إلى صنمه في ساعات الضيق لعله يجد جواباً ..

ولكن العزى كانت خرساء لا تجيب بشيء .. وكان يفر من ضياعه هذا إلى نوادي قومه حيث الخمر تسكر وتلهي وأحاديث التفاهة تغرق الحاضرين وتشغلهم عن البحث عن أي معنى كريم للحياة .

ويصل ابو طلحة إلى داره ويلتفت نحو نصب العزى الذي جعله امام داره يطوف به كلما خرج من الدار وكلما عاد إليها .. ولكن ما باله اليوم يقف أمامها جامداً وقد كان يسرع إليها من قبل فيطوف بها خاشعاً مصلياً ..؟! ما باله يحدق بها مفكراً ..؟!

ولبث مدة يحدق في هذا التمثال الحجري لشجرة كبيرة .. هذه هي العزى التي كان يعبدها .. والتي عبدها من قبل آباؤه واجداده .. هذه هي العزى التي عجزت عن إنقاذه من ضياعه فهل تستحق ان تكون إلهاً يعبد ..؟! وهل كان آباؤه في ضلال وسفاهة ..؟!

وشعر ابو طلحة بالتعب والحيرة فجلس على مصطبة له أمام داره .. واسند وجهه إلى يديه وراح يفكر .. واخذ ينقل بصره بين السماء والأرض . في هذا المنظر الطبيعي الأخاذ والشمس تملأ الدنيا من حوله ببريق ضحكتها .. فتلامس اطراف التلال واغصان الاشجار فتمنح المنظر نضارة وبريقاً وظلالاً .. وتفتحت نفس ابي طلحة على هذا الجمال وكأنه يرى الكون لأول مرة . وجعل يناجي بقلبه هذا الجمال من حوله :

ايتها السماء التي لا تدرك عيناي لها آخرا ..

من هو الإله الذي رفعك ..؟!

ايتها الارض المبسوطة التي لا أعرف لها نهاية ..

اية يد جبارة ابدعتك ..؟!

ايتها الشمس الضاحكة الوهاجة التي تمد الدنيا بالنور والدفء ..

من هو الإله الذي صنعك ويهيمن عليك ..؟!

ايها الكون .. من هو ربي الذي خلقني والذي بيده أمري .. والذي يستطيع أن يخلصني من شقائي إذا اتبعت أمره ..؟!

أهو هذا الرب الذي يدعو إليه محمد والمسلمون معه ..؟!

وسمع صوتاً عذباً يترنم بحنان وينشد نشيداً غريباً ..

والتفت نحو مصدر الصوت فرأى رجلاً من المسلمين يسعى وراء اغنامه وهو يرتل بحنو ذلك النشيد الغريب .. لا شك انه يرتل آيات من ذلك القرآن الذي جاء به محمد ..

وارهف ابو طلحة سمعه نحو الرجل يتبين ما يقول :

(يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير . خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فاحسن صوركم وإليه المصير . يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور)(١) .

---

(١) سورة التغابن ، الآية ١ ـ ٤ .

واحس ابو طلحة برجفة تزلزل قلبه .. وبالدموع تملا عينيه .. إنه امام الله وجهاً لوجه .

الله الذي خشعت له السماوات والأرض ..

الله الذي يطلّع عليه الآن من علٍ وهو جالس تجاه صنمه العزى.

وارتجفت أوصال أبي طلحة وسمع صوت أم سليم يعود إليه:

ـ اما تستحي من الله ان تعبد شجرة ..؟!

وغطى وجهه واخذ يبكي نادماً خجلاً من ربه .. ثم هبَّ من مجلسه مسرعاً وتناول فأساً له وهو يتمتم باكياً :

ـ سبحانك يارب تبت إليك .. وها هي العزى اقطعها بين يديك .. واهوى بفأسه على الشجرة تقطيعاً وتحطيماً وهو يقول :

ـ تباً لك ولمن عبدك .. ولكل من يعبد غير الله ..

واحسَّ براحة ونشوة تغمران نفسه .. وشعر بأنه يذوق سعادة ما ذاق مثلها من قبل ابداً .. وردد في نفسه :

ـ حقاً يا أم سليم إن الإيمان بالله هو اغلى من كل مال وجاه .

واسرع لتوه إلى بيت ام سليم :

ـ لقد عرفت طريقي يا أم سليم وإنني (أشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله) .

- ٦ -

الأسرة المؤمنـة

وهكذا تزوجت أم سليم من أبي طلحة ..

لله درك يا أم سليم ، لقد تزوجت على مهر ما سبقتك إليـه إمرأة من نساء العالمين ..!!

وصار أبو طلحة بعد ذلك يصحب رسول الله صلى الله عليـه وسلم ويتعلم القرآن منه . وعرف بالجهاد والمسارعة إلى أمر الله ورضاه .. حتى لقد كان في موقعة أحـد يرمي بالنبل بين يـدي النبي صلى الله عليه وسلم .

يقول أنس :

(لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو طلحة بين يدي النبي مجوّب «مترس» عليه بِجَحَفَة «بترس» له وكان أبو طلحة رجلا رامياً شديد القِدّ « أي شديد وتر القوس في النزع والمد » يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً وكان الرجل يمر ومعه الجعبة « الكنانة » من النبل . فيقول انثرها لأبي طلحة ، فأشرف النبي صلى الله عليه وسلم إلى القوم . فيقول أبو طلحة :

- يانبي الله بأبي أنت وامي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك ..

ولقد رايت عائشة بنت ابي بكر وام سليم وإنهما لمشمرتان اری خَدم (خلخال) سوقهما تنقزان(١) القرب على متونهما ، تفرغانها في افواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها في افواه القوم . ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة مرتين أو ثلاثاً).

هكذا كان بلاء ابي طلحة في المعركة وهكذا كان يفتدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ... حتى قال النبي عليه السلام عنه:

ـ (لصوت ابي طلحة في الجيش خير من فئة) .

وهكذا كان حرص أم سليم على أن تساهم في الجهاد مع المسلمين بالقدر الذي تستطيع ..

وما اروع الطفل الناشىء بين ابوين مجاهدين يشهدهما في الأزمات والمعارك ، فيرى من إقدام أبيه وتضحيته ما يملأ قلبه شجاعة .. ويرى من سعي امه ونشاطها ومساهمتها ما يلهب نفسه عاطفة ..

إن هذه الدروس العملية التي كان يشهدها أنس ويصفها كانت له افضل مِن الخطب والمحاضرات الرنانة عن الجهاد التي نتشدق بها نحن ونبدىء القول فيها ونعيد ..

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال :

(كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه) .

---

(١) تحملان وثبا .

- ٧ -

حتى تنفقوا مما تحبون

وكان أبو طلحة من أكثر الأنصار مالاً .. وكان من أحب أمواله إليه بستان من نخيل يسمى بيرحاء . ويقع مقابل مسجد النبي عليه الصلاة والسلام . وكان رسول الله كثيراً ما يدخل إليه ويشرب من مائه الطيب .

وبينما كانت أم سليم تشرف على البستان ذات يوم إذا بأبي طلحة يقبل نحوها والبشر بادٍ في وجهه .. فتسأله :

ـ من اين يا ابا طلحة ؟

ـ من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولقد انزل الله على نبيه آيات يقول فيها :

« لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون »(١) ..

فتحولي يا أم سليم عن هذا البستان فإنه من احب مالي إلي وإني قد جعلته صدقة أبتغي بها رضوان الله .

فيتهلل وجه ام سليم ويتلألأ سعادة وتقول :

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٩٢ .

ـ وهل ذكرت ذلك لرسول الله ..

ـ نعم .. قلت له : (إن أحب مالي إلي بيرحاء وإنها صدقة لله تعالى أرجو برّها عند الله فضعها يارسول الله حيث أراك الله) *

ـ وماذا قال لك رسول الله ؟

ـ قال لي : (**بخ .. « كلمة استحسان » ذلك مال رابع .. ذلك مال رابح)** ..

ـ قد ربحت والله يا أبا طلحة ومنحت البر والرضى من ربك.

* * *

ومضى ابو طلحة في طريق الحق يبذل ماله ونفسه في سبيل الله وام سليم إلى جانبه تشد من أزره وتعينه على البذل في سبيل الله ..

- ٨ -

نجوع معاً .. ونأكل معاً

ولقد مرت على المسلمين ايام من الشدة والفقر والجوع تغلبوا عليها بالصبر والتعاون والإيثار . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كالأب الرحيم بهم يجوع معهم ولا يرضى ان يتفرد عنهم بطعام او شراب .

ويأتي انس يوماً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيراه جالساً مع اصحابه وقد عصب بطنه بعصابة .. فيسأل بعض اصحابه :

- (لِمَ عصب رسول الله بطنه ؟) .

فيقولون :

- (من الجوع) .

فيتألم انس ويذهب إلى ابي طلحة ويقول :

- (يا ابتاه قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عصب بطنه من الجوع) .

- رسول الله قد بلغ به الجوع هذا المبلغ ؟!

تعال معي يا انس إلى البيت لننظر هل لدينا من الطعام ما يكفي لرسول الله واصحابه ..

ودخلا البيت . فسأل ابو طلحة :

ـ يا ام سليم هل لديك طعام ندعوا إليه رسول الله وأصحابه؟

فتنظر ام سليم فيما لديها وتقول :

ـ (عندي اقراص من خبز وتمرات . فإن جاءنا رسول الله وحده اشبعناه وإن جاء آخر معه قلَّ عنهم ..) .

ويبدو الأسف على وجه ابي طلحة ويقول :

ـ أقراص من خبز وتمرات ؟! فما نصنع بها يا ام سليم ، ورسول الله يعصب بطنه من الجوع وأصحابه معه لا يجدون مايسكت الجوع عنهم ؟

وتسكت ام سليم مفكرة ثم تقول :

ـ أرى أن نرسل انس إلى رسول الله يدعوه ويخبره بما لدينا من طعام فيختار رسول الله ما يراه مناسباً .

ـ اصبت .. فذلك هو افضل حل .

وانطلق انس لدعوة رسول الله .. وبعد قليل عاد ومعه الرسول صلى الله عليه وسلم وجميع الناس .. فخجل ابو طلحة وانقلب الى ام سليم يقول لها :

ـ (قد جاء رسول الله بالناس وليس عندنا ما نطعمهم) .

فأجابته بثقة واطمئنان :

ـ يا ابا طلحة (الله ورسوله اعلم ..) وإن الله لن يخزيك في اضيافك فإنك تبذل المال والنفس في سبيل الله لا تريد إلا رضاه .

عند ذلك اطمأن ابو طلحة وخرج إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يستقبلهم ..

واقبل رسول الله مع ابي طلحة فدخل على ام سليم وقال :

ـ (هَلـُمّي ما عندك يا أم سليم) .

فقدمت له ما عندها . فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ودعا الله أن يبارك فيه .. وصار يأذن للناس جماعة جماعة ، حتى أكلوا جميعاً . ثم أكل رسول الله وأهـل البيت وزاد لديهم مـن الطعام فأهدوه إلى جيرانهم .

* * *

لقد صبر المسلمون على أيام الشدة التي امتحنهم الله بهـا .. وواجهوا الامتحان بالعزم والتآخي والتعاون والإيثار . ففتـح الله لهم بعد ذلك أبواب الرزق وورثوا كنوز كسرى وقيصر فوزعوها بين المجاهدين والمحتاجين . وأقاموا العـدل بين الناس وحققوا لهـم الحرية والكرامة والرخاء حتى صار موزعو الصدقات في عهد عمربن عبد العزيز يبحثون عن مستحقي الصدقات فلا يجدون ..

وذلك بفضل تطبيق أحكام القرآن الـذي أنزله الله رحمـة وسعادة للعالمين ..

- ٩ -

أدب اللّسان

وتمر الأيام وام سليم سعيدة لأنها قد حققت بيتاً اسلامياً اساسه التقوى والجهاد في سبيل الله . إنها سعيدة لأنها تربي اولادها على الإيمان بالله . .

وهذا انس يغدو على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخدمه ويتعلم منه القرآن والحديث . لقد كان انس أملاً كبيراً من آمالها . وكثيراً ما كانت تفكر فيه وتدعو الله أن يجعل منه عالماً صالحاً مجاهداً .

ولكن . . ما بال انس يتاخر اليوم عليها . . وهل شغله اللهو واللعب مع رفاقه حتى أبطأ في العودة إلى البيت ؟!

ووقفت ام سليم امام باب الدار تتطلع إلى الطريق باحثة عن انس قلقة عليه .

وظهر انس في الطريق مسرعاً نحو البيت . . وما أن اقترب من امه حتى سألته بغضب :

ـ (ما حبسك) ولم تأخرت في العودة حتى الآن يا انس ؟

ـ (اتى عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا العب مع

الغلمان فسلم علينا وبعثني في حاجته ، فتاخرت عليك يا اماه وارجو أن تغفري لي ..

فهدات ام سليم عند ذلك وقالت :

ـ لا عليك يا بني ما دمت في خدمة رسول الله .. ولكن (ما حاجته) يا انس ؟.

فخفض انس راسه وقال :

ـ (إنها سرٌ ..) يا اماه .

وظهر السرور على وجه أم سليم لما راته من أدب ابنهاوامانته. .وبتت بيدها على كتفه قائلة :

ـ (لا تخبِرَنّ بِسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم احداً..)

وتؤثر وصية ام سليم في انس ويعمل بها طوال حياته فيعرف عنه الأدب والصمت عن اسرار الناس .. لأنه فهم من امه ان لسان الإنسان يجب أن يحفظ ويُصان فلا ينطق إلا بما ينفع الناس .

ـ ١٠ ـ

حُسنُ التَّبعُّل(١) ..!!

ويمرض ابن لها ذات يوم ويتألم له ابو طلحة ، ثم يخرج لأعماله وتبقى أم سليم إلى جانب إبنها تمرضه .. ولكن الطفل لا يلبث ان يموت بين يديها .. وتتمزق نفس الأم لموت ولدها .. لكنها تصبر وتتجلد وتحمد الله وتستسلم لإرادته ..

وتفكر ام سليم بزوجها ابي طلحة كيف انه سيعود من اعماله متعباً فيستقبل هذا الخبر الأليم .. ولكنها تهتدي إلى راي .. فتسرع إلى من في البيت وتوصيهم أن :

ـ (لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى اكون انا التي تحدثه ..) واكتموا الخبر الأليم عنه حتى اتلطف في اخباره ..

وتعد ام سليم طعاماً لزوجها ، وتتزين في انتظاره .. ويعود ابو طلحة في المساء متعباً متلهفاً يسأل عن ابنه :

ـ (ما فعل إبني ..) ؟

---

(١) جاء في كتاب الإصابة في تاريخ الصحابة في قسم الصحابيات. هذا الحديث من أسماء بنت يزيد أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن الله بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك وإن الرجال فضلوا بالجهاد والجماعات وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا اولادهم أفنشاركهم في الأجر ..؟... فقال صلى الله عليه وسلم : **« انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن يعدل كل ما ذكرت »** ومعنى حسن التبعل : **حسن توجيه الأسرة** .

فتتلقاه بابتسامتها وهدوئها المعهودين :

ــ اطمئن يا ابا طلحة .. (هو اسكن مما كان) .

وتجيئه بالطعام فيأكل ويشرب ويطمئن ويصيب منها .

وعندما ترى أم سليم انه قد ارتاح وزال عنه التعب. تقول له:

ــ (يا أبا طلحة ارايت لو أن قوماً اعاروا عاريتهم اهل بيت فطلبوا عاريتهم ، الهم أن يمنعوهم ؟..) .

قال ابو طلحة :

ــ (لا ..) .

ــ فتقول أم سليم :

ــ فإن الله قد استرد عاريته واخذها .. (فاحتسب إبنك). واصبر فإن الله قد توفّاه إليه .

ويعلم النبي صلى الله عليه وسلم بهذه القصة من ابي طلحة فيدعو الله أن يبارك لهما في ليلتهما ويعوضهما خيراً .

يقول أنس :

ــ « فحملتْ .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وهي معه ، وكان رسول الله إذا اتى المدينة من سفر لايطرقها طروقاً « اي لاياتيها ليلاً لئلا يرى من اهله ما قد يكره » . فدنوا من المدينة فضربها المخاض ، فاحتبس عليها ابو طلحة وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول ابو طلحة :

ــ إنك لتعلم يارب انه يعجبني ان اخرج مع رسول الله إذا خرج وادخل معه إذا دخل وقد احتبست بما ترى !

تقول ام سليم :

ـ يا ابا طلحة : ما اجد الذي كنت اجد . إنطلق .

فانطلقنا . . وضربها المخاض حين قدما فولدت غلاماً .

فقالت لي أمي :

ـ يا أنس لا يرضعه احد حتى تغدو به على رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم .

فلما اصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه تمرات . فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

ـ امعه شيء ؟

قال انس :

ـ نعم تمرات .

فأخذها النبي فمضغها ثم اخذها من فيه فجعلها في « فم » الصبي ثم حنكه « دلك فكيه بالتمر الممضوغ » وسماه عبد الله) .

فقال رجل من الأنصار :

ـ (فرايت تسعة اولاد كلهم قد قراوا القرآن ـ يعني مـــن اولاد عبد الله المولود ـ) .

* * *

لقد نجحت ام سليم في تنشئة اولاد واحفاد يحملون القرآن ويدعون الناس إليه ويجاهدون لإعلاء كلمة الله .

وحتى في المعارك ..!!

تلك هي أم سليم الزوجة المؤمنة الناجحة .. والأم المربية المجاهدة . وليست هذه كل صفاتها .. بل إنها كانت الصحابية المناضلة التي تصحب النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجها في اسفاره وتخرج للجهاد مع زوجها في غزواته لتقدم خدماتها للمجاهدين ومساعدتها للجرحى .

شهدت موقعة احد وفتح مكة ويوم حنين .. ولقد كانت لها مواقف من الثبات عجز عنها الرجال .

ففي يوم حنين .. لما فاجأت قبيلة هوازن المسلمين بكمين لها في منحنيات الوادي .. وفوجىء المسلمون بسيل من النبال ينهمر عليهم من كل مكان .. وتزعزعت الصفوف وانهزم المسلمون هاربين لا بلوون على شيء . ووقف النبي الكريم يدعوهم ويناديهم :

- (اين أيها الناس .. هلموا إليّ ..انا رسول الله، انا محمد بن عبد الله ..) .

لكن صوته الكريم ضاع في جنبات الوادي بين صخب الرجال وتدافعهم في الهرب وصيحات الخوف الصادرة عنهم في ذلك اليوم العصيب الذي وصفه الحق تعالى في القرآن الكريم :

« ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » (١) .

في ذلك اليوم ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والانصار وامر النبي عمه العباس أن ينادي :

ـ (هلموا يا معشر الأنصار الذين آوَوْا ونصروا .. يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ..) .

فاندفع فريق من المهاجرين والأنصار يلبون النداء :

ـ (لبيك يا رسول الله ..) .

وتركوا إبلهم المذعورة واسرعوا يرمون بأنفسهم إلى الموت تلبية للنـداء الحبيب .

وضمن هذا الهول الذي هز النفوس وشتت الصفوف.. ومن بين وابل النبال المتساقط .. يلتفت النبي صلى الله عليـه وسلم فيرى أم سليم مع زوجها ابي طلحـة تقف قريباً منه بثبات وقـد امسكت بزمام جمل لأبي طلحة .. فيتعجب النبي من وقفتها .. ويقـول :

ـ (أم سليم ..؟!)

ـ (نعم بأبي انت وامي يا رسول الله .. اقتل هؤلاء الذين يفرون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل ..)

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٢٥ .

فينهاها النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك برفق قائلاً :

ـ إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم)

ويلمح ابو طلحة بريق خنجر في يد زوجته فيقول للنبي صلى الله عليه وسلم :

ـ (هذه أم سليم معها خنجر !)

فتقول :

ـ (اتخذته .. إن دنا مني أحد المشركين بقرت به بطنه) .

وتثبت الفئة المخلصة حول النبي صلى الله عليه وسلم .. ويقتحم المؤمنون بقيادة نبيهم الكريم صفوف العدو بإقدام يطلبون النصر أو الشهادة في سبيل الله ، فيرسل الله جنوداً من عنده لتأييد المؤمنين ..

وتتحول دفة المعركة وينتصر المسلمون بعون الله وثباتهم وصبرهم .. ينتصرون بعد أن لقّنهم الله درساً بليغاً في الحذر والتواضع لله وحسن التوجه إليه .

خاتمـــة

وهكذا كانت ام سليم مثالاً للبطولة في جميع مجالات الحياة في المعارك الحربية ، وفي معارك الحياة اليومية فالحياة كلها تحتاج إلى حذر وجهاد وصبر وثبات من المؤمن ، حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشّرها بالجنة فقال : **(رأيت الرميصاء « وهو لقب لها » في الجنـــة)** .

تلك هي أم سليم . .

فتأملوا كيف يصنـــع القرآن بالنفوس وكيف يرتفع بهـــا الى أسمى المراتب والدرجات . . ولقد صدق رســـول لله صـــلى الله عليه وسلم حين قال :

« إن الله يرفع بهذا القرآن اقواماً ويضع آخرين » .

فيرتفع من يفتح قلبه وعقله للقرآن في كل زمان . ويهبط من يعرض عنه ويتركه مغتراً بملذات الدنيا ولهوها وعبثها وزينتها .

* * *

ايتها المراة المؤمنة . .

ذلك هو الدور الذي قامت به المراة المؤمنة الاولى في بناء المجتمع الرباني . . إنها لم تنحط إلى دور الدمية إلا عندما انحدر المجتمع المسلم من مرحلة العقل إلى مرحلة الغريزة . . وبدأت حضارته بالأفول .

فحري بك الآن ان تجددي ذلك الدور العظيم وتمضي قدماً بواجبك بنتاً ، واختاً ، وزوجة ، ومربية ، وربّة بيت ، وداعية الى الله . . . تبتغين بذلك كله رضوان الله وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .



من منشوراتنـــا

أولا ـ أبحاث في سنن تغيير النفس والمجتمع :

١ ـ مذهب ابن آدم الأول — تأليف جودت سعيد
٢ ـ الإنسان حين يكون كلاً... — تأليف جودت سعيد
٣ ـ حتى يغيِّروا ما بأنفسهم — تأليف جودت سعيد

ثانياً ـ من أخبار الصحابيات :

١ ـ سميَّة بنت خِياط — تأليف حنان لحّام
٢ ـ أم سُليم بنت ملحان — تأليف حنان لحّام

ثالثاً ـ روضة البراعم المصوَّرة :

١ ـ سبحانك اللهمَّ ياخالق الدواء — تأليف محمد موفق سليمة
٢ ـ الإحسان لا ينقص أموالنا — تأليف محمد موفق سليمة
٣ ـ شكراً يا رب على المطر — تأليف محمد موفق سليمة
٤ ـ محبوبة جداً جداً — تأليف محمد موفق سليمة